ان محو الامية اساسه عمل لكل طاقة وطنية خيرة .

تربية وتعليم المرأة في المجتمع الإسلامي

دريد عبدالقادر نوري
كلية الآداب

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

(١)

تمهيد

في التربية والتعليم تكسب المرأة العادات الحسنة والخلال الحميدة ، بعد ان تتعلم الصبر وتعرف طريق الخير وتتيقن سبل السلام . حيث تتفتح لديها ملكات العقل لتصل بواسطتها إلى الحكمة التي تقودها إلى معرفة حقائق الاشياء « ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيراً كثيرا » (١) .

فالمرأة بحاجة إلى التعليم ، كحاجة الرجل اليه ، لكي تعرف طريق الخير وتتبصر في شريعتها ولكي تعرف حسن المعاشرة الزوجية وتربية الاولاد. اذ كيف يمكنها ان تكون زوجة سعيدة ، واما مربية او مواطنة صالحة ، تعمل في اي حقل من حقول المجتمع ، وهي امية لاتعرف القراءة والكتابة ، وبالتالي لاتعرف للحياة معنى ولذلك (فتعليم المرأة تعليم للاسرة كلها) (٢) .

وقبل التطرق إلى شرح تربية وتعليم المرأة في المجتمع الاسلامي ، القي نظرة سريعة على مراحل تطور حقوق المرأة في العصرين الجاهلي والاسلامي ، لنتمكن بعدها من تقييم مايعنيه تعليمها ، لان عملية تربية المرأة وتعليمها هو جزء من عملية تطور قيمتها بصورة عامة عبر تاريخها .

ومن الجدير بالذكر ان كتب التاريخ لم توضح لنا بصورة جلية دور المرأة الواضح في التربية والتعليم ومشاركتها للرجل مشاركة تامة رغم اقرار الشريعة الاسلامية بضرورة تربية وتعليم الفتاة إلى جانب الولد . اذ ليس مايمنع من ذهابهن إلى الكتاتيب في الصغر ، كما انه لم يرد شرعا مايحرم تعليمهن في الكبر كما يتعلم الصبيان . ومع ذلك فالمعروف انه كان في صدر الاسلام عدد قليل يعد على اصابع اليد من النساء اللواتي كن يعرفن القراءة والكتابة ، ثم ازداد عددهن بعد ذلك في العصرين الاموي والعباسي بعد تطور الظروف التاريخية ، وازدياد حاجة المجتمع إلى النساء المتعلمات .

ويجيء هذا البحث المتواضع ليضيف إلى المكتبة العربية مفاهيم في حق المرأة، ـ في التربية والتعليم ـ جاء بعضها غير وا ضح وجلي في كتب التاريخ الاسلامي، أو مبعثر في عدد من صفحاته . كما يجيء هذا البحث ليكون حافزا ودعوة للنساء بضرورة تعلمهن القراءة والكتابة وضرورة مشاركتهن للرجال في عملية التربية والتعليم .

(٢)

تربية وتعليم المرأة في العصر الجاهلي

لقد كان للمرأة في العصر الجاهلي مكانة كبيرة ، فقد عرفت باخلاقها الكريمة وصفاتها النبيلة . وكانت منزلتها لدى العرب بمنزلة الشرف والكرامة، بل لقد كانت المرأة بحد ذاتها تعتبر شرف العربي وشهامته . ولذلك كان يضحي بدمه ويخوض المعارك الكثيرة من اجل امرأة اسرت من قبيلته (٣) وما وأد البنات (٤) لدى بعض القبائل العربية ، الا بسبب الخوف عليهن من الوقوع بالاسر بيد الاعداء . بالاضافة إلى مسألة الفقر التي كان يخشاها بعض الاعراب ، فيعمد إلى وأد بناته تخلصا من ارزاقهن (٥) .

ولذلك فمسألة وأد البنات لايمكن ان تكون دليلا على إحتقار العرب للمرأة خاصة اذا ماعلمنا ان بعض الآلهة كن بنات ، وان النساء كان لهن حقوق غير قليلة في تمليك املاك خاصة والقيام بصفقات تجارية مستقلة ، ولدينا في خديجة زوجة النبي محمد (ص) خير مثال (٦)

ولما كان للعرب قبل الاسلام علوم ومعارف تمثلت باحكام اللغة ونظم الاشعار والحديث في السير والاخبار ومطالع النجوم ومغاربها وفي الطب ومواعيد هبوب الرياح وعلم الانساب ، لذلك فمن الواضح ان يكون لديهم معارف في التربية والتعليم غرضها إعداد النشيء لتحصيل ماهو ضروري لحفظ الحياة من طرق كسب العيش واتخاذ السكن وصناعة اللباس (وهي الحاجيات الضرورية للانسان) .

ومن الطبيعي ان المراة كانت تشارك الرجل في كل ماسبق ، حيث كانت تتعلم حياكة الملابس وبعض الصناعات البسيطة ، كما كانت تتعلم كيفية تحضير الاطعمة وطحن الحبوب والقاء القصائد بالاضافة إلى تعلمها كيفية مشاركتها لشقيقها الرجل في الدفاع عن شرف القبيلة ومقاومة الاعداء . ولدينا في معركة حنين — التي وقعت بين المسلمين والمشركين من هوازن وثقيف — دليل واضح على مشاركة المرأة العربية للرجال في ساحة القتال ، حيث دفع المشركون بكل نسائهم في ساحة المعركة للعمل جنبا إلى جنب مع الرجال في مقاومة المسلمين (٧) .

ولذا فقد حظيت المرأة العربية قبيل الاسلام ، من التربية بنصيب ليس بالقليل . الا أنه يجب ان لا نتصور ان تلك المكانة كانت عامة شائعة بالنسبة لنساء العرب قاطبة ، لانه لم تتساو نساء الامراء والشيوخ — وهم اغنياء العرب — مع عامة نساء القوم ممن كان فقيرا فيضطر إلى وأد بناته ، او كان ظالما قد طغت عليه التقاليد غير الانسانية فيعمد إلى وأد بناته خوفا عليهن من العار او من الوقوع بالاسر. او ممن كان يرى في المرأة جنساً ثانيا اقل من الرجال يجب ان يحتقر . ولو لم تكن تلك السلبيات موجودة لدى عرب ماقبل الاسلام ، لما ندد القرآن الكريم بها. ولما انزلت بعض الآيات التي تدعو إلى المساواة بين الرجال والنساء وتحث الرجال على اكرام النساء لانهن خلقن من جنس الرجل ومن نفس واحدة كما سيتبين ذلك في الصفحات القادمة .

ومع كل السلبيات التي احاطت بالمرأة في العصر الجاهلي، فقد ظهر منهن مايدعو إلى الفخر في الادب والخلق . فقد كان منهن الشاعرات والمربيات والتاجرات كما كان منهن الخطيبات اضافة إلى مهارتهن بالاعمال المنزلية ورعي الماشية واعداد الطعام . وكمثال عملي على تلك التربية اذكر وصية امامة بنت الحارث لابنتها ام اياس حين ودعتها لما حملت إلى بيت زوجها عمرو بن حجر

وهي :—

«أي بنية ، ان الوصية لو تركت لفضل ادب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو ان امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتها اليها كنت اغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

اي بنية، انك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلّفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، فاصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكوني له امة يكن لك عبدا وشيكا .يابنية إحملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا ، الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع انفه،فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشمّ منك الا أطيب ريح .والكحل احسن الحسن والماء اطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ... والاحتفاظ ببيته وماله ... ولاتفشي له سرا ، ولاتعصي له امرا فانك ان افشيت سره ، لم تأمني غدره وان عصيت امره ، اوغرت صدره ، ثم اتقي منه بعد ذلك الفرح ان كان ترحا، والاكتئاب عنده ان كان فرحا ... وكوني اشد ماتكونين له اعظاما، يكن اشد مايكون لك اكراما ... واعلمي انك لاتصلين إلى ماتحبين ، حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ... » (٨) .

وفي الوصية السابقة ما يدل بصورة جلية على ان بعض نساء العرب كن مربيات من الدرجة الاولى، يدربن بناتهن ويعددنهن ليكن زوجات مخلصات ، وامهات قديرات ، انها نصائح فريدة يجدر ان تتحلى بها كل زوجة صالحة لتكون تلميذة وفية لامامة بنت الحارث .

كذلك لاننسى من النساء الشهيرات،الملكة بلقيس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم «واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم» (٩) . فهي ملكة عربية عاشت في اليمن قبل ظهور الاسلام ، وتمكنت من قيادة شعبها ، والقضاء على اعدائها ، كما تمكنت من الاتصال بالنبي سليمان (ع) .

(٣)

ومنذ ان ظهر الاسلام بدأ الاهتمام بالعلم والعلماء بشكل واضح ،فقد أنزلت اول آية من القرآن الكريم توضح تعليم الانسان بالقلم ، وتحثه على طلب المعـــــارف « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق ...

اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » (١٠). اضافة إلى عدد آخر من الآيات التي حثت على العلم والتعلم وبينت فضلهما منها قوله تعالى «قل هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لايعلمون ؟ انما يتذكر اولو الالباب » (١١) ، « وقل رب زدني علما » (١٢) . كما بين القرآن الكريم ايضا ان الرسول محمد (ص) انما بعث معلما للناس جميعا ، يعلمهم شريعة السماء ويوضح لهم حقائق الاشياء والعلوم التي لايعلمونها،والتي جاء بعضها في ء القرآن غير مقصودة لذاتها بل لتلفت أنظار الانسان إلى نظام الكون ودقة صنعه ولتكون دليلا على قدرة الله وحكمته ، كحركة الكواكب وكروية الارض ودورانها وما إلى ذلك من العلوم الاخرى كالطب والفلك ،قال تعالى : «كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويعلمكم الكتاب والحكمة ،ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون»(١٣).

وقد اكدت الاحاديث النبوية الشريفة ، المفاهيم السابقة بشكل واضح ، فاعتبر الرسول (ص) طلب العلوم والمعارف خيرا من الدنيا وما فيها، وبين ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، كما امر ان لايسكت الجاهل على جهله ،وليس للعالم ان يسكت على علمه ، وحث على طلب العلم ولو في الصين ، ومن المهد إلى اللحد،وبين ان تعلم العلوم والانتفاع بها خير من ثواب الصديقين وثواب الصوم والصلاة ، بعد قضاء الفرائض ، بل وحتى من قراءة القرآن لانه لاينتفع به الا بالعلم (١٤) .

ومن الآثار الحسنة التي وردت عن الصحابة في فضل العلم والتعلم ما ذكر عن الحسن (رضى) انه قال :« لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم »،لانهم بالتعليم يخرجون من حد البهيمية إلى حد الانسانية . وقال معاذ بن جبل

«تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لايعلمه صدقه ... وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين ... » (١٥) .

ولما لم يرد في كل النصوص السابقة ما يدل على تخصيص طلب العلوم والمعارف على الذكور فقط ، بل كان جميعه خطاباً شاملا لكل من يطلب العلم من الرجال والنساء ، لذلك فهو خطاب غير مباشر للمرأة أيضاً يلزمها فيه الاسلام بضرورة التعلم ويشجعها على الاقبال عليه ، خاصة وان الاسلام قد رفع من منزلة المرأة بشكل واضح وجلي واعطاها قيمتها الانسانية ، وحقها في العيش والبقاء ، حيث حرم الوأد وأمر الرجال باكرامهن ، وجعلهن يشاركن الرجال في كل ما هو من خصائص الانسانية في الدنيا والاخرة. فكل منهما ينال ما يستحق « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى » (١٦) .

كما شاركت المرأة الرجال في المبايعة ، حيث كان الرسول (ص) يبايع الرجال والنساء على السمع والطاعة (١٧) وكان لهن هجرة وجهاد مثل الرجال . ويكاد الوحي لايذكر الرجال في مكرمة او ثناء او تشريع الا وذكر النساء معهم منها : «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ... والمتصدقين والمتصدقات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً »(١٨) .

ولما جعل الاسلام منزلة المرأة الى جانب منزلة الرجل (١٩) ، لذلك فمن الطبيعي ان تأخذ المرأة حقها في التربية والتعليم ، خاصة وانه لايوجد شرعاً ما يمنعهن . ولذلك فقد كان بعض النساء يزاحم الرجال في طلب العلوم.

وقد روى البخاري بسنده ان النساء قلن للنبي (ص) : «غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وامرهن»(٢٠).

ومما يذكر ان الرسول (ص) حض على تعليم ازواجه القراءة والكتابة ، فقد قال للشفاء العدوية — احدى عالمات قريش في الجاهلية — «الا تعلمين حفصة رقية النملة ، كما علمتها الكتابة » (٢١) ولذلك اتخذت النساء المسلمات لهن طريقاً الى المساجد ليتعلمن امور الدين وما يتعلق به .

هكذا اذن اهتمت المرأة في صدر الاسلام بالدراسات الدينية ، واقبل بعضهن على رواية الحديث وكتابته. وقد عقد ابن سعد جزء من كتابه الطبقات للحديث عن النساء المهتمات بالدراسات الدينية ذكر منهن اكثر من سبعمائة امرأة «روين عن الرسول او عن الثقات من الصحابة ، وعنهن روى اعلام الدين وائمة المسلمين ، وترجم ابن حجر حياة (١٥٤٣) محدثة قال عنهن كن ثقات عالمات ...» (٢٢) عاش بعضهن في العصر الاموي والعباسي .

ومن المشهورات في صدر الاسلام ممن عرفن بحسن القراءة والكتابة: الشفاء وحفصة وام كلثوم وعائشة بنت سعد وكريمة بنت المقداد وعائشة وفاطمة وام سلمة وقد ذكرهن جميعاً البلاذري (٢٣). فهذه عائشة وحدها روي عنها الف حديث وكانت تعرف الكتابة وكان لها القدح المعلى في العلوم الدينية مما جعل الرسول (ص) يأمر باخذ نصف الدين عنها .كذلك السيدة فاطمةبنت الرسول(ص) وقرينة حكيم الاسلام علي بن ابي طالب (رض) التي تربت وتعلمت من ابيها وزوجها حتى صارت من اعلم الناس. فقد كانت متصفة بالوداعة والالفة، وكانت تجمع الصحابة والانصار رجالا ونساء في دار ابيها او في المسجد وتخطب فيهم لتعلمهم بعض مايحتاجونه مما عرفته من ابيها (٢٤) .

وبعد هذه الاسوة الحسنة في الاقبال على التعلم والتعليم، اقتدت بعض النساء بامهات المؤمنين في تعليم النساء، فقد كانت مثلا ام الحسن البصري في القرن الاول الهجري تدرّس النساء وتعظهن، بينما كان ابنها يدرّس الرجال (٢٥)، ثم لاننسى قصة المرأة المسلمة التي كانت قد حضرت احدى خطب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(رض) في المسجد الجامع بالمدينة، والتي كانت قد بينت خطأ الخليفة في مهر الزوجة فاجابته المرأة بنص القرآن «وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واوتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً» (٢٦) فقال عمر الحمدلله اصابت امرأة واخطأ عمر ، ونزل عن رأيه (٢٧) . وفي هذا ما يدل بوضوح ان المرأة كانت تشارك الرجال في سماع المواعظ والخطب

الخاصة بامور دينها ودنياها في داخل المسجد ، وان رأيها كان محترماً اذا كان موافقاً للشرع .

ومن الشهيرات في صدر الاسلام ايضاً السيدة (سكينة بنت الحسين) العالمة التي كانت تجالس الاجلة من قريش ويجتمع اليها الشعراء والادباء ،فتبين لهم الغث من السمين وكانت ترد على خطباء بني امية جهاراً في داخل المساجد، اذا ما أساؤا القول في حق الحسين واصحابه (٢٨) . كذلك اشتهرت السيدة (بنت سعيد بن المسيب) بالعلم والمذاكرة. وكانت قد تزوجت برجل من قومها وذهب في يوم الى حلقة ابيها ليستقي من علمه، فلما عاد الى بيته سالته : اين كنت ؟ قال : كنت في درس ابيك . فقالت له اجلس اعلمك علم ابن المسيب ؟؟ (٢٩) .

وهذا « السماح للنساء في ذلك الدور المبكر بارتياد المساجد اعطى للمرأة فرصة طيبة لحضور مجالس العلم التي كان يعقدها كبار الصحابة في المساجد وهي تدلنا على ان حرية الرأي كانت مكفولة للرجال والنساء على السواء» (٣٠). كما تدل ايضاً على ان الاسلام اعطى للمرأة الحق في طلب العلم ، وأهاب بها ان تصل الى اعلى المستويات العلمية وحتى آخر ساعة من حياتها على هذه الارض. لان طلب العلم فريضة على المسلمة كما هو على المسلم، ومن المهد الى اللحد .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ،ودخلت امم كثيرة في الدين الجديد، رغب الكثير من المسلمين بتعليم بناتهم العلوم المختلفة الى جانب العلوم الدينية ، فكان لابد من اسناد ذلك باسانيد شرعية . وقد اتجه المسلمون الى مصدري التشريع (وهما القرآن والسنة)واخذوا يستنبطون منهما الاحكام المناسبة التي تدل على وجوب تعليم الفتاة الى جانب تعليم الرجال، فاصبحت مصادر التشريع ثلاثة هي (القرآن والسنة والقياس) وجانب القياس هذا بنيت عليه الاحكام الفقهية.

ويمكن ان نستدل من باب القياس العديد من الآراء التي تدل دلالة واضحة على وجوب تعليم الاناث في المجتمع الاسلامي . اذ بعد أن انتظم التعليم وكثرت

المدارس بفروعها المتنوعة واخذ المعلمون الاجر واجه الفقهاء المسألة التالية : هل ان تعليم الاناث واجب ام لا ؟واذا كان واجباً ، فمن هم المكلفون بذلك ؟

ان موقفاً موضوعياً من المسألة يدل على وجوب تعليم الاناث ، ليس فقط العلوم الشرعية فحسب ، وانما كل ما يتعلق بها من دراسات كاللغة وقواعدها والرياضيات والفلك والطب وما الى ذلك من العلوم الاخرى التي لايمكن فهم بعضها الا عن طريق علوم مساعدة . اذ كل ما لايتم الواجب الابه فهوواجب. وقد أكد الغزالي ان كثيراً من الصناعات والاعمال مرتبط بعلوم الشريعة وهي محمودة لان مصالح أمور الدنيا مرتبط بها كالطب والحساب مثلا «فالطب هو ضروري في حاجة بقاء الابدان على الصحة والحساب ضروري في المعاملات وقسم التركات والوصايا والمواريث وغيرها ، وهذه العلوم لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد ... كذلك فان اصول الصناعات ايضاً من فروض الكفاية كالملاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة ، فانه لو خلا البلد عن الحجام لسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك ...» (٣١) . ولذلك فلا بد ان يكون من النساء عالمات وطبيبات ليشرفن كأقل إحتمال ، على مرضى النساء وتدريسهن .

ومن الامثلة على ارتباط احكام الدين الاسلامي بعلوم ومعارف غير دينية اذكر انه ورد ثلاثمائة حديث نبوي بخصوص قواعد حفظ الصحة والاستحمام والاكل والشرب والزواج وغيرها سميت باسم (الطب النبوي) (٣٢). تدفع المسلمين ، بما فيهم الاناث ، الى الاهتمام بعلم الطب وتشجيعهم على الاقبال عليه. كذلك فان ارتباط احكام الدين الاسلامي بالظواهر الفلكية دفع بالمسلمين عامة ، ومنهم الاناث ايضاً ، الى الاهتمام بعلم الفلك اهتماماً كبيراً ، فاقتضى معرفة المواقع الجغرافية للبلدان وحركة الشمس وأحوال الشفق ، وذلك لتحديد اوقات الصلاة ومعرفة اتجاه القبلة ، وتعيين يوم الابتداء بصوم رمضان وحج البيت الحرام .

ومن الامثلة على اهتمام النساء بعلم الفلك السيدة عائشة بنت طلحة بن عبدالله التي جاءت مرة الى الخليفة هشام بن عبد الملك فسألها عن سبب مجيئها فقالت

له : ان المطر قد حبس، والسلطان قد منع الحق ، فأجابها هشام الى طلبها ولكنه سألها عن النجوم ومن اين تعلمته . فاجابته بانها تعلمته من خالتها عائشة(٣٣).

ومن ناحية ثانية فان الايات القرآنية العديدة التي نزلت في تبيان حركة بعض الكواكب ومواقعها دفعت بالمسلمين المتدينين إلى معرفة تفاسيرها للوقوف على حقيقة مايهدف اليه القرآن، وهذا سيدفع بالمسلمين بالضرورة الى تعلم الفلك (٣٤). ولما لم يرد في الشرع مـــايحرم او يمنع تفسير بعض الايـات القرانيـــة على النساء ، لذلك فمن حق المرأة الطبيعي أن تتعلم اصول اللغـــة لتفهم القرآن وبالتالي لتتطلع على علم الطب والفلك وغيرها من العلوم الأخرى المساعدة ، لان كل ما لايتم الواجب الا به فهو واجب .

وقد أكد الفقيه ابن حزم ذلك المفهوم في الحد الادنى الذي ينبغي توفيره للجميع ذكوراً واناثاً حيث قال :«ان كل مسلم عاقل بالغ من ذكر أو انثى حراً وعبداً يلزمه الطهاره والصلاة والصيام فرضاً بلا خلاف من أحد من المسلمين. وتلزم الطهاره والصلاة المرضى والاصحاء ... ففرض على كل من ذكرنا أن يعرف فرائض صلاته وصيامه وطهارته وكيف يؤدي ذلك وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل له وما يحرم ... وهذا كله لايسع جهلـه احداً من الناس، ذكورهـم واناثهم ... وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم ... » (٣٥) .وهذا النص يدل على أن ابن حزم الزم تعليم الفتـاة لتعرف امور دينها لان معرفة الدين واحكامه واجبة على جميع المسلمين ، واعتبر أن الالزام في تعليمها يجب أن يبتدأ من حين بلوغها الحلم .

وقد أكد الامام أبو حامد الغزالي وجوب تعليم الفتاة بطريق غير مباشر عندما حث المسلمين على ضرورة تعليم الابناء الخلال الحميدة والعلوم المفيدة لان اولئك الاولاد امانة عند والديهم ولان « قلبهم جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ... فان عود الخير وعلمه نشأ عليه ... وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له . وقد قال الله عز وجل (يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا) ...» (٣٦) .

والا كانت البنت هي من الاولاد وان الاسلام لم يفرق بينهـا وبين الصبي من حيث الخلق والتربية والاكرام ،لذلك فهي أولى من الولد بالاهتمام والتربية الحسنة ، حتى تؤهل لتكون ابنة صالحة وزوجة محمودة ومربية سليمة تتمكن من بذر الخلال الحميدة في قلوب ابنائها . والا فوزر جهلها — كمـا يعتقد الغزالي — يقع على عاتق والديها والدولة.

وقد جاء ايضاً في الرسالـة المفصلة لاحوال المعلمين للقابسي (٣٧) مايدل على الزام تعليم الاناث، وبخاصة تعليمها القرآن وعلومه ، لان فيـه صلاحها . حيث اعتقد ألقابسي ان تعليمها العلوم الاخرى كالشعر والترسل ومـا الى ذلك قبل القرآن مخوف عليها ومفتن لها . وقد ذكر العديد من النصوص القرآنيـة التي تدل على وجهه نظره في ربط الانثى بالرجـل ، وفي الزام تعليمها كما يتعلم الرجل منها قوله تعالى «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ... » وقوله « وما كان المؤمن ولا مؤمنه اذا قضى الله ورسولـه امراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم».وقد جعل القابسي الزام تعليم المرأة من الوجهة الدينية،ولم يوكد على اجبار الدولة على الزامها، وانما اكتفى بالقول ان واجب الدولة ينحصر بوعظ الممتنعين عن التعليم وتبيان اثمهم، لان تعريف الابناء بالعبادات واجبة بنص القرآن، ومعرفة القرآن واجبة ايضاً لضرورتها في الصلاة وان الوالد مكلف بتعليم ابناؤه — ذكوراً واناثاً — القرآن والصلاة فاذا لم يتيسر للوالد ان يعلم ابناءه بنفسه فعليه ان يرسلهم لدور العلم لتلقي العلم بالاجر، واذا كان فقيراً فاقرباؤه مكلفون بذلك، فاذا عجز اهله عن نفقة التعليم، وقعت على الاغنياء من المسلمين او الدولة (٣٨).

والقابسي في هذا لايلزم الدولة امر التعليم وانما يمنحها صفة الواعظ الحاث عليه، حيث لايلزمها الانفاق على التعليم الا في الضرورات القصوى عندما يكون المكلفون به فقراء. بينما يعتبر ابن حزم بأن الدولة هي المسؤولة عن كفاية حق التعليم لكل مواطنيها ذكوراً واناثاً حيث يقول:« ويجبر الامام [رئيس الدولة وحاكمها] ازواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهم، اما بأنفسهم واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهم وفرض على الامام ان يأخذ الناس بذلك وان يرتب اقواماً لتعليم الجهال» (٣٩).

وبعد هذا التأكيد والتشجيع من قبل الفقهاء، وحاجة المجتمع إلى النساء المتعلمات برز العديد منهن في العصرين الاموي والعباسي، خاصة بعد اقبال الناس على شراء الجواري وتعليمهن ليكن في المستقبل زوجات لبعض القادة والامراء او مدرسات لعلوم وفنون مختلفة بعد ان يشترين بثمن قليل فيتدربن ويبعن بثمن مرتفع جداً كل حسب علمها وثقافتها، نذكر منهن المغنية (دنانير) جارية البرامكة و (بذل) جارية جعفر بن موسى الهادي و (الخيزران) جارية الخليفة المهدى و(قمر) جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي — امير اشبيلية (٤٠).

ومن الامثلة التي تبين حالة النساء في العصر العباسي من حيث التعليم، انه قدم إلى الخليفة هارون الرشيد جارية ثمنها عشرة الاف دينار، اشترط عليها ان تؤدي امتحاناً في بعض العلوم قبل دفع الثمن فأجابت إلى ذلك. فجمع لها الرشيد الاعلام من علماء الشريعة والطب والفلك والفلسفة ومهرة اللاعبين بالشطرنج. فأمتحنت فأجابت وتفوقت، ولم تكتف بالاجابة الحسنة، بل طرحت هي على ممتحنيها اسئلة عجزوا عن حل بعضها (٤١). ورغم المبالغة الواضحة في الرواية السابقة، غير أنها تدل بوضوح على وجود العديد من الاساتذة في إختصاصات مختلفة ممن كان يمتهن تعليم النساء. كذلك تدل على سعة اطلاع اولئك الجواري بالعلوم المختلفة.

ومن النساء المتعلمات اللواتي ورد ذكرهن في كتب الادب العربي والتاريخ الاسلامي اذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: —

١— عائشة بنت احمد القرطبية: اديبة وشاعرة ذات فصاحة وبلاغة لم يكن في نساء الاندلس من يضاهيها فهماً وعلماً. فقد كانت تخاطب ملوك الاندلس وتمدحهم، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف (٤٢).

٢— ام الدرداء: عالمة زاهدة من قولها: «طلبت العبادة في كل شيء، فما اصبت لنفسي شيئاً اشفى من مجالسة العلماء ومذاكراتهم» عاشت في أيام معاوية. وكانت تقيم ستة أشهر ببيت المقدس وستة أشهر بدمشق (٤٣)،

٣— نضار بنت أبي حيان: عالمة فاضلة كانت تعرب جيداً وتنظم الشعر، قال عنها المقرى «حجت وسمعت قراءة العلم على بعض الشيوخ... وحضرت على الدمياطي وسمعت على جماعة، واجازها من المغرب

ابو جعفر ... وحفظت مقدمته في النحو» (٤٤).

٤ـ ابنة فايز القرطبي (٤٤٦هـ/١٠١١م): شهرت بحفظ العلم والادب، درست على ابيها وزوجها ثم قصدت ابا عمر الداني سنة(٤٤٤هـ/١٠٥٢م) لاخذ القرارات عليه بدانية . فالفته مريضاً ثم مالبث ان مات ، فسألت عن اصحابه ولحقت بأحدهم إلى بلنسيه وهو (ابو داؤد) وقرأت عليه بالقراءات السبع (٤٥).

٥ ـ ميمونة بنت ساقولة الواعظة البغدادية (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م): عالمة زاهدة كان لها لسان حلو جميل في الوعظ. رأت في تقوى الله سبيلاً إلى الخلاص من مآزق الدنيا، وكانت تؤكد على الاستقامة لانها تحافظ على مكاسب الانسان في الدنيا وتمنحه ثواب الآخرة. (٤٦) .

٦ ـ السيدة زبيدة بنت ابي جعفر زوجة هارون الرشيد، كانت عالمة تعرف القراءة والكتابة مولعة بحفظ الاخبار والسير والشعر. ومن شدة ولعها بالعلم انها كانت تحوي في بلاطها مائة جارية يعرفن القراءة والكتابة، حتى ان الرشيد كان يستشيرها في بعض الامور (٤٧) .

٧ ـ ستيته بنت القاضي ابي عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي : عالمة بالدين كانت تكنى بام الواحد لانه كان لديها ابن واحد قاضياً مثل جدّه . وقد كانت فاضلة ومن احفظ الناس في عصرها ، للفقه الشافعي ولذلك كانت تفتي مع العلماء. وحدّثت وكُتِب عنها الحديث وتوفيت سنة ٣٧٧هـ (٤٨).

وهكذا فلم يكن للمرأة الحق في طلب العلم والتعلم فقط، بل وفي نشر العلم بين النساء والرجال ايضاً. فقد كان منهن المدرسات والعالمات والطبيبات والمفتيات كالسيدة سُتيتة المارة الذكر ـ والسيدة اخت محمد بن حزم القرطبي المتوفاة ١٨٢هـ / ٨٩٥م ، والتي كانت تؤدب البنات في بيت ابيها، ولايمنع من قيامها بتأديب الاولاد الصغار معهن (٤٩) . كذلك المدرسة أم المؤيد زينب بنت الاشعري المتوفاة بنيسابور سنة٦١٥هـ والتي كانت عالمة حافظة للحديث أجاز لها الحافظ

الفارسي والعلامة الزمخشري صاحب كتـــاب الكشاف. ومن تلامذتها إبنُ خلّكان صاحب كتاب (الوفيات) التي أجازته سنة ٦١٠هـ (٥٠) .

ومن المدرسات المشهورات ايضاً السيدة شهدة بنت الابري البغدادية المتوفاة سنة ٥٧٤هـ التي مدحها ابن خلكان وقال عنها :«كانت من العلماء وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خـــلق كثير . وكان لها السماع العالي الحقت فيه الاصاغر بالاكابر ... واشتهر ذكرها وبعـــد صيتها » (٥١) . وكان من تلامذتهـــا الفقيـــه المشهور ابن تيميـــة الـــذي سمع منهـــا الحديث . وكذلك المدرسة الفقيهة ست الوزراء المتوفاة سنة٧١٧هـ والسيدة عائشة بنت محمد المقدسي المتوفاة سنة٨١٦هـ،والسيدة عائشة بنت يوسف الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢هـ بدمشق والتي كانت قد صنفت العديد من الكتب الادبية والصوفية ولها ديوان شعر ومن اشهر مؤلفاتها «الفتح المبين في مدح الامين » وغيرهن كثير مـــن المدرسات والعالمات اللواتي اشتهرن بدراسة الفقه وحفظ الاحاديث وتتبع العلماء والمشايخ والرحلة في طلب العلم (٥٢) .

ومن الجدير بالذكر ان المرأة نافست الرجل ايضاً في جمع الكتب ونسخها وتشكيل المكتبات الخاصة في البيوت. ولم يقتصر ذلك على نساء الطبقة العليا في المجتمع من اللواتي اتيحت لهن فرصة طيبة للتعلم ،بل ذلك كان معروفاً بين النساء المتعلمات من سائر المجتمع ايضاً ،فمن نساء الخلافة السيدة طرفة المتوفاة ٣٥٨هـ/٩٦٨م التي كانت كاتبة الخليفة الناصر لدين الله. ومن عامة النساء اللواتي كان لديهن مكتبات خاصة السيدة ابنة احمد بن قادم المتوفاة سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٠م التي نشأت بقرطبة ولم يكن في زمانها من يماثلها في علمها وشعرها وفصاحتها ، بالاضافة الى حسن خطها والتي كانت تستخدمه في استنساخ المصاحف الكريمة ، وكان لها خزانة كتب كبيرة (٥٣) .

وهكذا فالتربية والتعليم لم تقتصر في المجتمع الاسلامي على الرجال فقط، بل شملت النساء ايضاً اذ لما ظهر الاســـلام واخذت القراءة والكتابة في

الانتشار ، تعلمها بعض النساء كما فعل الرجال ثم ازداد عددهن بمرور الزمن . وذلك لاسباب دينية حيث تطلب افهام المرأة امور دينها وما يتعلق به من العلوم، كذلك لاسباب اقتصادية يرتجى منها تحصيل الامـــوال والكسب المادي ، ثم لاننسى ما كان في طلب العلم والمعرفة من مزايا ترفع من قدر المرأة وتعطيها المكانة المرموقة في المجتمع إضافة الى ما يرجـــى في طلب العلم والمعرفة من عوامل تعمل على تهذيب أخلاق المرأة .

وقد آن الاوان ان تأخذ المرأة نصيبها من التربية والتعليم، لانه لايوجد شرعاً ولا قانوناً ما يمنعها عن ذلك ، حتى تشارك بعمق وحكمة في صنع الحياة وتؤدي رسالتها المطلوبة على الوجه الاكمل كأم ... ومدرسة ...وطبيبة وما الى ذلك من الوظائف الاخرى .

---

(١) القرآن : ٢٦٩/٢ .

(٢) انظر بخصوص ضرورة تعليم المرأة : محمد محمد حسين والحضارة الغربية (دار الارشاد للطباعة ١٩٦٩) ص ٤٨ .

(٣) للاطلاع على مسألة سبي النساء في العصر الجاهلي ونتائجه على القبيلة انظر : عائشة عبد الرحمن موسوعة آل النبي (ص) ص٤٣٣ .

(٤) للاطلاع على وأد البنات في العصر الجاهلي وحكمه انظر : محمود شكري الالوسي ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ط٢ (القاهرة : ١٩٢٥) ج٣ص٤٢– ٤٤ .

(٥) جاء في القرآن الكريم ما يدل على ان بعض عرب الجاهلية كانوا يعمدون إلى وأد بناتهم بسبب الفقر « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم » الانعام : ١٥١ .

(٦) انظر : صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب (بغداد : ١٩٦٧) ص١٣٩.

(٧) بخصوص دور المرأة العربية في الاشتراك في معركة حنين ينظر : دريد عبد القادر نوري دراسات في معركة حنين . مقال منشور في مجلة الرسالة الاسلامية ، السنة التاسعة العدد ٩٨ لسنة ١٩٧٦. وقد ساهمت المرأة العربية قبل الاسلام مع الرجال في معركة بدر واحد وكان لها نصيب لا بأس به في اثارة حماس المشركين ضد المسلمين، كما اشترك بعضهن بالقتال وتضميد الجرحى . انظر بخصوص ذلك ابن هشام ، السيرة النبوية ٥/٣ – ٧، ٥٨ .

(٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد (القاهرة : ١٩٤٩م) ٨٣/٦. انظر : محمد عطية الابراشي ، التربية الاسلامية وفلاسفتها (ط٢ ١٩٦٩)، ص١٥ – ١٦ مع ملاحظة وجود بعض

الاختلافات مع النص الاصلي

(٩) انظر مفصل قصة الملكة بلقيس : علي ابراهيم حسن ، نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب (القاهرة ١٩٥٠) ص٢٥ .

(١٠) القرآن : ٣ -- ٩٦/٥ .

(١١) القرآن : ٣٩/٩ .

(١٢) القرآن : ١١٤/٢٩ .

(١٣) القرآن : ١٥١/٢ .

(١٤) جاء في الاحاديث النبوية مايلي :- » اطلب العلم ولو في الصين» ، »ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع»،» لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خيرا من ان تصلي مائة ركعة »، » باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » » حضور مجلس عالم ، افضل من صلاة ... فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن ، ؟ فقال (ص): وهل ينفع القرآن الا بالعلم ؟ » انظر في هذه الاحاديث وغيرها الكثير المصدر التالي : ابو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين (القاهرة : ١٣٠٦) : ١٦/١ — ١٧

(١٥) الغزالي ، احياء علوم الدين : ١٩/١.

(١٦) القرآن : ال عمران ١٩٥/٣ .

(١٧) انظر : الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك : ٣٢٨/٢، عفيف عبد الفتاح طباره ، روح الدين الاسلامي (بيروت : ١٩٦٢)، ص٣٣١ — ٣٣٣ .

(١٨) القرآن الاحزاب ٣٥/٣٣ .

(١٩) لمعرفة المزيد عن راى الاسلام في المراة انظر .

١ — صبحي الصالح ، النظم الاسلامية (بيروت ، د/ت) ، ص٤٤١ .

٢ — مصطفى السباعي ، المراة بين الفقه والقانون ، ص٦٥١ .

٣ — سعيد الافغاني ، الاسلام والمراة ، ص٥٤ .

٤ — كمال احمد عون ، المراة في الاسلام ، ص١٦٣ .

٤ — العقاد ، حقائق الاسلام واباطيل خصومه ، ص٢٢٦ .

(٢٠) البخارى (ليدن : ١٨٦٢م) جـ١، ص٢٠ .

(٢١) عبدالله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ (بيروت : ١٩٧٤م) ص٢٢٣. خليل طوطح ، التربية عند العرب (القدس : د/ت) ، ص٦٦.

(٢٢) احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية (بيروت : ١٩٥٤) ، ص٣٢٧، وانظر : عبدالله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ ، ص٢٢٥ .

(٢٣) نظر : فتوح البلدان (لندن : ١٨٦٦م) ، ص٤٧٧ ،

(٢٤) محمد سلام مدكور وزميله ، الأزهر والفتاة (القاهرة : ١٩٣٦) ، ص١٥ — ١٧ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى (المغرب : ١٩٥٣)

ص٣٠١ .
مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب (بيروت : ١٩٧٣) ص١٣ — ١٤.

(٢٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان وابناء الزمان (القاهرة : ١٢٩٩هـ) : ١/١٦٠ .

(٢٦) القرآن : النساء ٣/٢٠ .

(٢٧) صبحي الصالح ، النظم الاسلامية ، ص ٤٤٠ .

(٢٨) انظر : ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني (بيروت : ١٩٥٦) ،م ١٤، ق ٤، ص ٣٦٩ .

(٢٩) مذكور ، الازهر والفتاة ، ص ١٧ — ١٨ .

(٣٠) محمد عبدالرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات ، ص ٣٠٢ .

(٣١) ابو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين (القاهرة : ١٣٠٦ هـ) : ١/ ٢٣٢ .

(٣٢) انظر بخصوص الطب النبوي وتشجيع الاسلام للاهتمام بعلم الطب :

١ — ابن قيم الجوزيه ، الطب النبوي (القاهرة: ١٩٥٧) : ٢، ٧، ١٦ ...
ابن خلكان ، المقدمة (بيروت : د/ ث) : ص ٤٩٣ — ٤٩٤ .

٣ — حكمت نجيب ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب (الموصل: ١٩٧٧) ص ٤٠ .

(٣٣) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والحضاري (القاهرة : ١٩٦٤)ص ٥٤٧ .

(٣٤) ورد في القرآن الكريم العديد من الايات التي دلت على كروية الارض وحركتها حول الشمس قبل ان يبرهن العلم الحديث عليه منها : «والارض بعدذلك دحاها » اي خلقها بشكل الدحية وهي البيضة . وكذلك « والارض مددناها» والامتداد الذي ليس له حافة ولانهاية حيث تذهب إلى اقصى الشرق لتعود الى ادنى الارض وبالعكس . وقد برهن المؤرخ الجغرافي المسعودي ذلك بقوله « الشمس اذا غابت في اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العائمة في بحر الاوقيانوس الغربي واذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في اقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض » . (مروج الذهب (القاهرة : ١٩٥٨) جـ١ ص ٨٦ .

(٣٤) انظر / فتحي عثمان ، اراء تقدمية من تراث الفكر الاسلامي (سلسلة الثقافة الاسلامية العدد ٣٣) (القاهرة : ١٩٦٢) ص ٣١ .

(٣٦) احياء علوم الدين (القاهرة : ١٩٣٩) : ٣/٦٩ .

(٣٧) القابسي : هو الامام ابو لحسن علي بن خلف ولد سنة ٣٢٤هـ /٣٥م وله رسالة جيدة في التعليم عند المسلمين عنوانها (الرسالة المفصلة لاحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين) نشرها الدكتور فؤاد الاهواني بكتابه (التربية الاسلامية) وتقع الرسالة في ثمانين صفحة انظر : عبدالله عبد الدائم ، التربية عبر

التاريخ (بيروت : د / ث) ص ٢٥٣ – ٢٥٤ ، الاهواني التربية في الاسلام (القاهرة :١٩٦٨) : ص ٢٦٨ فما بعد .

(٣٨) انظر : الدائم ، المرجع السابق ،ص ١٠٢– ١٠٥، ٢٩٣ حيث النص الكامل لرسالة القابسي التي نشرها ملحقاً في كتابه .

(٣٩) فتحي عثمان نفس المرجع والمكان السابق .

(٤٠) انظر بخصوص تعليم الجواري ومكانتهم في المجتمع : الاصفهاني ، الاغاني ، م٧(بيروت: ١٩٥٥) ص ١٤٨ – ١٤٩، ١٦٢ – ١٦٣ والمجلد (١٤) بيروت ١٩٥٦ ، ص ٣٣٣

٢/ الجاحظ ، البيان والتبيين (ط ٣: ١٩٤٧) ص ٢٧٦ .

٣/ شوقي ضيف ، العصر العباسي الاول بالقاهرة :د /ت : ٥٧/٣ – ٦٢ .

٤/ صالح عبدالعزيز ، تطور النظرية التربوية (القاهرة : ١٩٦٤) ص ٢٤١ .

٥/ احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص ٣٢١ – ٣٢٥ .

(٤١) صالح عبدالعزيز ، تطور النظرية التربوية ، ص ٢٤٣ .

(٤٢) عمر رضا كحالة ، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام (دمشق : ١٩٥٩): ٦/٣ .

(٤٣) طوطح ، التربية عند العرب (القدس : د/ ت) ص ٦٨ .

(٤٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (القاهرة :١٣٠٤ هـ) : ٦٠٣/١ ، وانظر المرجع السابق ص ٦٨ .

(٤٥) كريم عجيل ، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الاسلامية (رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد غير مطبوعة سنة ١٩٧٤)ص ١١١ .

(٤٦) انظر : آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة (بيروت : ١٩٦٧) : ٢/ ٢٠ – ١٢١ .

(٤٧) الابراشي ، التربية الاسلامية ، ص ١٣٢ .

(٤٨) متز ، الحضارة الاسلامية : ٢/ ١٧٨ .

(٤٩) كريم عجيل ، مدينة بلنسية (رسالة ماجستير) ، ص ٨٧ .

(٥٠) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٢٤٧/١ .

(٥١) نفس المصدر السابق : ٢٨٣/١، ٦٥٧ .

(٥٢) انظر عبدالرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ، ص ٣٠٥ – ٣١٢ حيث تجد فيه ذكر ثمانية عشر مدرسة عالمة .

(٥٣) انظر : كريم عجيل ، المرجع السابق ، ص ٢٢١، الابراشي ، التربية الاسلامية ، ص٣٣،